مقاصد الترشيح والتجريد
والاطلاق الاستعاري في الخطاب القرآني
The Purposes of Nomination, Abstraction, and Metaphorical Release in the Qur'anic Discourse

(موازنة وتحليل)

أ.م. د. صالح كاظم صكبان
Asst. Prof. Dr. Salih Khadim Saqban

جامعة واسط / كلية التربية للعلوم الإسلامية
University of Wasit/
College of Education for Islamic Sciences

salehsagban@gmail.com

الملخص

البحث بعنوان مقاصد الترشيح والتجريد والاطلاق الاستعاري في الخطاب القرآني ويقوم على دراسة الترشيح والتجريد والاطلاق الاستعاري في الخطاب القرآني، ويقوم عن طريق التحليل والموازنة باستخراج نتائج تم التوصل لها وهي ان الاستعارة لاتقوم فاعليتها من خلال الترشيح الاستعاري كما اعتاد البلاغيون في ذلك، بل يقوم على درجة الحاجة للترشيح او التجريد، فقد يكون التجريد او الاطلاق الاستعاري أبلغ من الترشيح، والدليل على ذلك القرآن الكريم الذي يأتي فيه الاطلاق الاستعاري أو التجريد كثيرا، وقد بين البحث وم خلال الموازنة والتحليل أن الخطاب القرآني الاستعاري خطاب موجه مقصود، يتم فيه التوجيه من خلال التوازن الذي يحدثه الاطلاق أو القوة التي يحدثها الترشيح، أو الدلالة التي يقدمها التجريد.

الكلمة المفتاحية: الاستعارة، الخطاب القرآني، موازنة.

Abstract

The research is based on the study of nomination, abstraction, and allegorical release in the Qur'anic discourse, and through analysis and balancing it extracts results that have been reached, which is that metaphor does not establish its effectiveness through metaphorical filtering, as rhetoricians used to do, but is based on the degree of need for nomination or abstraction, it may be abstraction or The metaphorical release is more informative than the nomination, and the evidence for that is the Holy Qur'an, in which the metaphorical release or abstraction comes frequently, and the research and through balancing and analysis showed that the Quranic metaphorical discourse is an intentional directive speech, in which the guidance is achieved through the balance caused by the release or the power caused by the nomination, or the signification provided by abstraction

Keywords: Metaphor, Quranic discourse, balancing.

الاستعارة لغة

الاستعارة لغة: قال ابن منظور: «وقد أعاره الشيء وأعاره منه وعارَه إياه، والمعاورة والتعاوُر شبه المداولة والتداول في الشيء ويكون بين إثنين»[١].

وقال بن فارس فيها «أن يضعوا الكلمة للشيء مستعارة من موضع آخر فيقولون: إنشقت عصاهم إذا تفرقوا»[٢].

الاستعارة إصطلاحا

الاستعارة هي: «أن تريد تشبيه الشيء بالشيء فتدع أن تفصح بالتشبيه وتظهره وتجيء الى اسم المشبه به فتعيره المشبه وتجريه عليه»[٣] ويراها السكاكي: «هي أن تذكر أحد طرفي التشبيه، وتريد به الطرف الآخر، مدعياً دخول المشبه في جنس المشبه به دالاً على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به»[٤] وهي أقوى من التشبيه وفيها مبالغة أشد منه ففيها: «يقال: أن اللفظ نُقِل من مُسمّاه الأصلي، فجعل اسماً على سبيل الإعارة للمبالغة في التشبيه»[٥].

وللاستعارة أركان تعرف بها وتقسم الاستعارة على أساسها وهي:

١) المستعار منه وهو المماثل (للمشبه به).
٢) المستعار له وهو (المماثل للمشبه).
٣) مستعار وهو اللفظ المنقول.

---

(١) لسان العرب، بن منظور: مادة (عور).
(٢) الصاحبي في فقه اللغة ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس، علق عليه ووضع هوامشه: أحمد حسن بسج:١٥٤.
(٣) دلائل الاعجاز، عبد القاهر الجرجاني: ٦٧.
(٤) مفتاح العلوم، السكاكي: ٣٦٩.
(٥) الايضاح في علوم البلاغة، القزويني: ٢١٢.

أقسام الاستعارة:

تنقسم الاستعارة بحسب طرفها (المستعارمنه، والمستعار له) إلى: تصريحية ومكنية، فالتصريحية: التي يذكر فيها المستعار منه[1] والمكنية: التي لايصرح سوى بلفظ المستعار له بها، فقد: «يضمر التشبيه في النفس فلا يصرح بشئ من أركانه سوى لفظ المشبه و يُدل عليه بأن يُثبت للمشبه أمر مختص بالمشبه به، من غير ان يكون هناك أمرا ثابتا حساً او عقلاً أُجري عليه اسم ذلك الأمر؛ فيسمى التشبيه استعارة بالكناية أو مكنياً عنها»[2].

وتنقسم نسبة الى تقوية جانب المستعار له، أو المستعار منه الى ثلاثة اقسام: هي: الاستعارة الترشحية: التي قوّت طرف المستعار منه، والاستعارة التجردية: التي جردت المستعار منه من صفاته بعد الاستعارة والمطلقة: التي وازنت بين الاثنين في الزيادة والنقصان بصفات المستعار منه، او المستعار له[3]. والمهم أن الاستعارة على قوتها وأهميتها في النص القرآني الا أنها تنوعت بين الترشيح والتجريد، والاطلاق ونظرة فاحصة تجد أن وراء ذلك الشيء؛ هو الانتقاء والاختيار لنوع الاستعارة التي تحل لتكون قادرة على ايصال الدلالة فحين يأتي الاطلاق الاستعاري، يعجز الترشيح أو التجريد أن يقوم مقامه ويحدث أثره، وتلك هي ماهية البحث وطرحه. فالأمر هو قصدية واختيار وبهذا قد يكون التجريد أبلغ وانفع في موقعه الاستعاري من الترشيح وإن كان الترشيح الاستعاري مما مدحت به الاستعارة، فالمسألة هي ايصال المعنى وتحققه، وليس قوة الصدى أو الخيال الذي يحدثه الترشيح أو سواه.

---

(١) ينظر: مفتاح العلوم: ٣٧٣.

(٢) الايضاح في علوم البلاغة: ٢٣٤.

(٣) ينظر: من بلاغة القرآن، محمد شعبان، نعمان شعبان: ٢٢٣-٢٢٤. وينظر: البلاغة الواضحة، البيان والمعاني والبديع، علي الجارم، ومصطفى أمين.: ٩٠. وينظر:علم البيان، دراسة تحليلية لمسائل البيان، د. بسيوني عبد الفتاح فيود: ١٧١

الترشيح الاستعاري وقصديّة الدلالة

الترشيح الاستعاري هو الزيادة في صفات المستعارمنه وهو «يؤدي الى الامعان في المبالغة وتناسي التشبيه»[1] وهي: «ماذكر معها ملائم المشبه به»[2].

وقد يأتي الترشيح لزيادة التماهي في الصورة فتصبح الاستعارة وكأنها صورة حقيقية؛ وماذلك الا مبالغة في الشيء وقد تخرج لأغراض متنوعة ومن هذه الأغراض التوبيخ والتقريع، ومنها قوله تعالى:

﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ* وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ* إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾[3].

الآية المباركة نزلت في المعاندين والكفرة، وتأتي الصورة الاستعارية (جعلنا من بين ايديهم سدا) لتشكل حاجزا مجازيا استعاريا فقد استعيرت لفظة السد إلى (عدم الهداية) وكأن هناك حاجزا يمنعهم من الوصول إلى الهداية وما ذاك؛ الا بسبب أعمالهم، والحاجز المجازي خلق حسية تقوم على توصيف الظلالة وهيكلتها، وتدخل عبارة (فهم لايبصرون) لتشكل رفدا للمستعار منه (السد) المقابل للظلالة وعدم القدرة على الاهتداء، ويبدو أن وراء هذا الترشيح هو الرغبة بالتجسيد المتكامل لعدم القدرة على الاهتداء للانسان الذي أصبحت أعماله تنافي فكرة الهداية وكأن السد والمانع حقيقي، وفي الواقع الانسان مخير، بيد أن الانسان هو الذي يوقع نفسه في هذا البعد وهذه القطيعة.

(١) علم البيان، دراسة تحليلية لمسائل البيان:١٧١: و ينظر: من بلاغة القرآن: ٢٢٣-٢٢٤.

(٢) البلاغة الواضحة، البيان والمعاني والبديع: ٩٠.

(٣) سورة يس: ٩، ١٠.

ويأتي الترشيح الاستعاري القرآني لبيان التجسيد المراد به إظهار القوة الممزوجة بالتهديد والتخويف، كما في قوله تعالى:

﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ* بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾[1].

النص القرآني يبين غضب الله سبحانه وتعالى، على من لاينزه الذات الالهية العليا -سبحاته تبارك وعلا- ويدخل الفعل الماضي (نقذف) مُحققا قويا من خلال قوة الفعل في ايحاءه، ثم يرتبط الفعل المتقدم الحسي على الشيء المعنوي (الحق، الباطل) ليحولهما إلى أشياء حسية فالحق لا يمكن قذفه على الباطل «وهذه استعارة؛ لأن حقيقة القذف من صفات الأشياء الثقيلة، التي يرجم بها، كالحجارة وغيرها. فجعل -سبحانه- إيراد الحق على الباطل بمنزلة الحجر الثقيل، الذي يرضّ ما صكّه، ويدمغ ما مسّه. ولما بدأ تعالى بذكر قذف الحق على الباطل وفّى الاستعارة حقها، وأعطاها واجبها، فقال سبحانه: (فَيَدْمَغُه) ولم يقل فيذهبه ويبطله؛ لأن الدمغ إنما يكون عن وقوع الأشياء الثقال، وعلى طريق الغلبة والاستعلاء. فكأن الحق أصاب دماغ الباطل فأهلكه. والدماغ مقتل. ولذلك قال سبحانه من بعد: (فَإِذا هُوَ زاهِقٌ) والزاهق: الهالك»[2].

ويحصل ذلك عن طريق الاستعارة المكنية التي تقوم بتجسيد الطرفين (الحق والباطل) لتجل الحق بمثابة السلاح الدامغ والمدمر للباطل، ولايقف النص القرآني عند هذا الحد بل يتعداه إلى التماهي من خلال ترشيح فعل المستعار منه الذي حول الطرفين (الحق لرمح) أو أداة للقتل، وحول الباطل لكائن حي مدرك وتم ذلك الترشيح من خلال عبارة (فإذا هو زاهق) التي تقع في صفات الكائن الحي فتصوره (ميتا) وماذلك؛ الارغبة في تجسيد سطوة الله سبحانه وتعالى وشدة جبروته، وتم ذلك

(١) سورة الأنبياء: ١٧، ١٨.

(٢) تلخيص البيان في مجازات القرآن، الشريف الرضي (ت ٤٠٦ هـ) تحقيق محمد عبد الغني حسن:٢٢٨.

عن طريق الترشيح الاستعاري الذي جعل صورة قمع الله سبحانه وتعالى للباطل حسية مشاهدة ليتم التخويف، وتبين الشدة.

وقد يأتي الترشيح ليسجل الرفد الخبري الذي يخرج النص للاستحالة، كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ﴾[1].

يتقدم الاستفهام القرآني (أفأنت تهدي العمي) متضمنة المعنى الكنائي الموحي بعدم الفهم التام، و«قيل: معناه -والله أعلم- أنهم صاروا صما لا ينتفعون بما سمعوا لإعراضهم وترك إمكان النظر فيه، ولو أقبلوا إليه لانتفعوا به، فيصير مسمعا لهم؛ يخبر عن شدة تعنتهم ومكابرتهم أنهم كالصم المدبرين، لا يمكن إسماعهم بحال ولا تفهيمهم وإن جهد، وأما الصم المقبلون فإنهم قد يمكن إسماعهم وتفهيمهم بجهد بالإشارة والإيماء، والله أعلم بذلك.

وقوله: وَما أَنْتَ بِهادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلالَتِهِمْ، وفي بعض القراءات: وما أنت تهدي العمي عن ضلالتهم، هذا يدل أن ليس كل الهدى البيان»[2]. وتأتي عبارة (ولو كانوا لايبصرون) لتوقع النص القرآني في باب الترشيح الاستعاري، من خلال زيادة صفات المستعار منه (العمي) وبذا يصبح الكفر وعدم الهداية وكأنه العمى الحقيقي الي لايهتدي صاحبه للطريق ليبالغ النص القرآني في ظلالتهم.

وقد تأتي الدلالة القرآنية في الاستعارة حاملة صورة تتناسب والطرح المقدم فيكون الترشيح هو الوسيلة التي تكمل الصورة وتلم مرتكزاتها وبعدها المؤثر، كما في قوله تعالى في تصوير أصحاب الذنوب الكبيرة في يوم القيامة:

(١) الانبياء: ٤٣.

(٢) تفسير الماتردي، الماتردي، ج٨: ١٣٥.

﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللهَّ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾[1].

يتقدم الفعل (خسر) ليدل على التفريط بالشيء النفيس المضيع، وهو (الاستعداد للقاء الله تعالى، وتظهر عبارة (ياحسرة) المقدمة من أهل الذنوب مدى التندم الكبير الذي حملته نفوسهم، ثم يدخل التصوير الاستعاري والمشهدية التي تبين الثقل المجازي المصور بالحسي عن طريق عبارة (وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ) والاستعارة المقدمة: هي استعارة مكنية فالذنب عن طريقها تحول الى شيء حسي يشبه الحمل الثقيل، مبالغة بالشدة، وتستمر الصورة الاستعارية بالاكتمال، فتدخل عبارة (على ظهورهم) فتكون ترشيحا للثقل فهو يحمل على الظهر، وقد جاء الترشيح لزيادة الايحاء بثقل الذنوب، فمعلوم أن الحمل الثقيل، يحمل على الظهر، من هذا يظهر أن الترشيح أسهم في اكمال أبعاد الصورة المجازية وقام بلم أطرها.

وقد يأتى الترشيح ليبين التبكيت والتقريع الممزوج بالذم كقوله تعالى: ﴿وَإِذَ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاء ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْاْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾[2].

في النص القرآني المتقدم إستعارات عدة منها أليثاق الذي هو عهد الله وتأتي عبارة وراء ظهورهم لتجعل من الميثاق شيئا حسيا محمولا، بعبارة أخرى فإنها تعطي طابعا كنائيا بغياب قيمة الشيئ النفيس عندهم وهو عهد الله ثم يتماهى النص ويدخل في باب الترشيح الأستعاري فتزداد صفات المستعار منه (الشيئ الحسي) المقابل لعهد الله (الشيء المعنوي) وتم ذلك من خلال أشتروا -ثمنا- فبئس مايشترون) وهذه الصفات بينت الذم التام لليهود اللذين حولوا عهد الله تعالى الذي لايقيم بثمن إلى شيئ حسي رخيص.

(١)الانعام: ٣١.

(٢) آل عمران: ٨١.

إنّ الترشيح الاستعاري ماهو الا قو ة إضافية معضدة ومقوية للأثر الدلالي، وهو رفد وله سببية، وقد تتقدم السببية على الاستعارة و الترشيح وقد تتأخر، ومثال تقدمها قبل الرفد الاستعاري الداخل في باب الترشيح، قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ* خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[1].

العبارة الاستعارية القرآنية قائمة في (خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ) «فيحتمل أن يكون السمع معطوفا على (ختم) ويحتمل الوقف على (قلوبهم)؛ لأن الختم إنما يكون على القلب، وهذا أولى، لقوله في الجاثية: (وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة)[2].

ومالختم الا الظلالة المطبقة، وهي المستعار منه، والظلالة هي المستعار له، وقبل أن نلج إلى الترشيح الاستعاري، نمعن النظر في عبارة (إن الذين كفروا) فالخطاب في الكافرين الذين لايعتقدون بوجود الله، ثم يأتي الاستفهام في عبارة (سواء عليهم أنذرتهم أم لم تنذرهم لايؤمنون) لتعطي معنى الاستبعاد أو ربما الاستحالة في ايمان هؤلاء الكافرين الصادين عن ذكر الله سبحانه وتعالى، ولذا فالترشيح يأتي متناغما مع تقديم السبب، ولذا تدخل لفظة (غشاوة) في عبارة (على أبصارهم غشاوة) لتكون متلائمة ومتناغمة مع الختم، فالختم هو مانع حسي وكذلك الغشاوة هي مانع حسي مشاهد وبهذا فالرفد الترشيحي أصبح أقرب إلى الحقيقة، في كون اهتدائهم أمر لامجال لحصوله؛ لوجود الحسية المتقدمة، وماهي الا موانع مجازية ولكن أراد النص القرآني أن يجسد من خلالها شدة معاندتهم وكفرهم.

(١) البقرة: ٦، ٧.

(٢)البرهان، الزركشي: ج٢،: ١٩٧.

ويأتي الترشيح لزيادة القوة في المستعارله وليس سلبه منها من خلال تقوية المستعار منه، وليس الأمر متناقضا، ولا مخالفا للقاعدة البلاغية إذا ما تأملنا قوله تعالى:

﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾[1].

فشدة المعاندة تتضح من خلال النكث المتكرر بالعهود المقطوعة، مع الأنبياء ومع الله سبحانه وتعالى، وتأتي الاستعارة التصريحة (أخذنا منهم ميثاقا غليظا) لتخفي العهد وتبقي الميثاق قائما مكانة مبالغة بالشدة ووجوب لزومية الالتزام بين العبد وربه، ولما كان العهد ملزما وعظيما، وعظمته منبثقة من الطرف المقابل القاهر -الله جل جلاله- انحرف النص وشق طريقه نحو التماهي في الترشيح من خلال لفظة (غليظا) التي هي صفة حسية من صفات الميثاق (الحبل) والظاهر -والله أعلم- أن وراء الرفد الحسي، هو تشكيل الصورة المشاهدة التي تبين جسامة التعدي عن طريق مخالفة العهد المقطوع بين الله سبحانه وتعالى وبين العبد، ويظهر الانثيال بالأفعال (رفعنا، أخذنا، قلنا) لتظهر التجلي الالهي في الميثاق، وقد قوى من أثره السياق الجمعي الذي أتى به، فلم يقل جل جلاله (أخذ الله.. رفع. قال) بل جاء بالجمع (قلنا....) والظاهر أن السياق الجمعي كان كامنا خلفة إظهار طابع التعظيم الذي كشف الترشيح الاستعاري عن مفاصله الدالة.

وقد يأتي الترشيح الاستعاري، ليبين غياب الفائدة وانعدام عودة المستعار له لصفاته، ويأتي ذلك في وصف الكفار الصادين عن رحمة الله سبحانه وتعالى، إذ تطلق عليهم صفات توحي بالشيء المقدم فتزاد ويركز عليها، كما في قوله تعالى:

(١) النساء: ١٥٤.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ* إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ* وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾[1].

تتقدم عبارة (ولاتكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لايسمعون) لتعطي جانب الذم والتحذيرمن اتباعهم، ثم تدخل عبارة (شر الدواب) لتزيد الذم فتجعلهم في أحط الدرجات، فهم أسوء ماخلق، وهم دون منزلة الحيوانات، وتدخل الاستعارة التصريحة لتحيط عن طريق المجاز بصفاتهم المذمومة من خلال جعلهم (صما بكما) وصفة الصم تقع مقابل عدم استماع الهدي والامتناع عنه، وصفة البكم صفة تقع في عدم النطق بوحدانية الله الحقة وعدم الاعتراف بذلك، ويظهر أن الاستعارة التصريحة قامت على ترشيح صفة الصمم (انعدم السمع) لدى الكفار دون الكلام، لانعدام الثانية بانعدام الأولى فالأصم لايتكلم، إضافة لذلك فإن السمع له الأولية والأهمية لأنه وسيلة الهدي المفقودة لدى الكفار الظالين والتي تم ترشيح صفاتها من خلال (وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ) فتكررت لفظة السمع لمرتين بعد الاستعارة (لأسمعهم، ولو أسمعهم) ويظهر أن (لو) الذي هو حرف امتناع لوجود في عبارة (وَلَوْ عَلِمَ اللهُ..... لأسمعهم) جاءت لتعلن انعدام الفائدة وغياب وانقطاع الرجاء بهدايتهم، وكان الترشيح هو العامل المبين لذلك.

(١) الأنفال: ٢١، ٢٢، ٢٣.

التجريد الاستعاري وأثرة في قصدية الدلالة

الاستعارة التجريدية: «هي التي اقترنت بما يلائم المستعار له وذلك بعد استيفاء القرينة»[١] بعبارة أخرى هي: «ماذكر معها ملائم المشبه به»[٢].

وقد يكون التجريد الاستعاري لغرض البيان، ومنه قوله تعالى:

﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي* وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي* وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي* يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾[٣].

الآيات المباركة تتحدث عن موسى عليه السلام في بداية دعوته، ويتقدم الطلب الحامل للدعاء (اشرح لي صدري، يسر أمري) ليكون من المهيئات الأولى للرسالة، طلب القوة النفسية للدعوة «وشرح الصدر... هو بمعنى استجابته للخير واتساعه للكثير منه وضيقه هو عدم تقبله للخير واختناقه به»[٤] وتدخل عبارة (أحلل عقدة من لساني) لتكون استعارة مكنية فالعقد للحبل وليس من شأن اللسان، وكأن لسانه مربوط وذلك موح بصعوبة النطق السليم، ويأتي التجريد في عبارة (يفقهوا قولي) العائدة على المستعار له (اللسان) لبيان الحاجة وسببها، فالأصل في الدعوة الارشاد والنصح ولايتم ذلك الا باللسان، ولهذا جاء التركيز على ذلك.

وقد تتطلب الحاجة العودة للمستعار له، والدخول في صفاته، فيكون المستعار منه هو الوسيلة الأولى الكبرى التي تحقق الوسائل الأخرى، كا في صيغة الدعاء المقدمة في قوله تعالى:

---

(١) علم البيان: ١٦٨. و ينظر: من بلاغة القرآن: ٢٢٣-٢٢٤.

(٢) البلاغة الواضحة: ٩٠.

(٣) طه: ٢٣.

(٤) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب: ١٩٨.

﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[1].

الصورة المتقدمة تبين موقفا صعبا وهو موقف القتال بين فئتين غير متكافئتين عددا، فعدد أصحاب الايمان قلة مقابل أصحاب الباطل والكفر، ولذا جاءت الاستعارة المكنية مسبوقة بالدعاء (ربنا افرغ علينا صبر) ومعلوم أن الصبر لايفرغ فهو شيء معنوي، وإنما يفرغ الشيء الحسي السائل، وجاءت اللفظة الاستعارية المتقدمة اشعارا بشدة الحاجة للصبر كشيء حسي ملموس، ولعل لفظة (أفرغ) في معناها قد دلت على طلب الصبر من الله سبحانه وتعالى كاملا لضراوة الموقف وكثرة عدد العدو وخذلة الناصر، فإلافراغ هو: الصب للسائل كاملا بلانقص، وبعد أن فرغت الاستعارة المحتوى المراد طرحه، يأتي التجريد الاستعاري، من خلال (ثبت أقدامنا، أنصنا على القوم الكافرين) التي تتضمن الاشياء الحسية الطبيعة المراد وجودها والتي لاتتحقق الا من خلال وجود الصبر المجازي الخاص.

وقد يصور الجانب الاستعاري قوة الفعل الرباني، ثم يأتي التجريد ليبين ماهيته ويكشف جنسه ونوعه وقد بين ماهية الاستعارة المقدمة و شدتها، قوله تعالى:

﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آَتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا* فَضَرَبْنَا عَلَى آَذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾[2].

فأصحاب الكهف كانوا يمثلون معجزة كبرى من معجزات الله سبحانه وتعالى، ويظهر الجانب الاستعاري قويا عن طريق (وضربنا على آذانهم) فالضرب يدل على الشدة في النوم والحرف (على) يعني الشمولية والتغطية، ويبدو -والله أعلم- أن الضرب جاء على الأذن دون سواها؛ لأنها المركز الأول الذي يفيق الانسان من نومه،

(١) الأنعام: ٣١.

(٢) الكهف: ١١.

ثم تدخل عبارة (سنين عددا) لتدخل في باب التجريد الاستعاري من خلال العودة للنوم الذي يستلزم الزمن والوقت، ورغم العودة للأصل تظهر المعجزة الأخرى فالنوم تم على سنين وليس يوما أو اقل كالمعتاد.

وقد يأتي التجريد الاستعاري للتركيز على النقاط الكبرى التي يكون ذكرها بمثابة التبين، لماهية الاستعارة والوسيلة القادرة على تجسيد أبعادها الكبرى التي ربما قد تغيب عن المتلقي، كما في قوله تعالى:

﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[1].

ومدلول الآية ان نقض الميثاق منطلق من «كفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما. وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه»[2] فتدخل عبارة (فبما نقضهم ميثاقهم) لتضع سببية العقاب المنزل، ويظهر أن الاستعارة المكنية التي شبهت ميثاق الله مع المشركين (بالحبل)، عملت من خلال ذلك على كنه وجوب القوة فيه التي قام المعاندون بإرخائها وهجرها، ومبدأ مخالفة عهد الله هو فعل عظيم الشناعة، ثم لايلبث النص أن ينحرف للتجريد الاستعاري فيجرد المستعار منه الحبل المقابل للعهد الذي قطعه الناكثون على أنفسهم مع الله، ليبين الجانب الأعظم الذي تم خرقه من العهد وهو (الكفر بآيات الله، وقتل الانبياء، والقول بالكفر (قلوبنا غلف) وهي استعارة أخرى خرجت للاستهزاء، بالعهد، مما تبين يظهر أن التجريد الاستعاري قد وضع المفاصل الكبرى التي لايقوم معها عهد ولاميثاق.

(١) الحجر: ٨٩، ٩٠، ٩١.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: علي شيري ج٢: ١٠٨.

ويظهر التجريد مهما تتطلبه الدلالة المقصودة فنرى عبارة استعارية في القرآن الكريم تأتي مرتان في الإطلاق، ومرة في التجريد وهي عبارة (خفض الجناح) الاستعارية التي تعني التذلل، ونرى أن نقعد موازنة بين الآيات لكنه الدلالة، فقد جاءت في سورة النساء والشعراء والاسراء: فقال تعالى في سورة النساء: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ* وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾[١]، وقال سبحانه في سورة الشعراء: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ* وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ* فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾[٢].

وقال تبارك في سورة الاسراء: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا* وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾[٣] ففي سورة النساء والشعراء كان الخطاب موجها للنبي الأعظم صلوات ربي عليه لتتبين له طريق الرفق بالدعوة فالهدي لايؤخذ بالقوة بل بالحجة، والحجة تتطلب الرفق واللين حتى لاتمجها النفس، وتنفرمنها.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾[٤] ولهذا جاءت الاستعارة (اخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) طالبة الرفق في الدعوة واللين ولم تجد أرفق من استعارة جناح الطائر في ذلك فهو مغطي وشامل وواق لما تحته، ولاتكاد الاستعارة الثانية خارجة عن الأولى فالأولى في عشيرة النبي والثانية في الرفق لمن اتبعه من المؤمنين، وتقبع الاستعارة في الاطلاق فلا يقوى (الطائر) ولايقوى المستعار له (التذلل) والخضوع، وكأن الحالة المطلوبة هي الوسطية في التعامل والوسيطة في الرفق ٬

(١) النساء:١٥٥.

(٢) الشعراء: ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦.

(٣) الاسراء:٢٣، ٢٤، ٢٥.

(٤) آل عمران:١٥٩.

ليس على حساب الله ودينه فضلا عن كون النبي صلوات ربي عليه صاحب الخلق العظيم فكيف لايرفق بهم.

بيد أن المسألة تتغير في سورة الاسراء التي لم توجه للنبي بل للعامة في الرفق في الوالدين، وقد يكون من وجه اليه الخطاب عاقا، فاختلف الأمر فجاءت الاستعارة في قوله تعالى: ﴿**وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ**﴾ سالكة التجريد الاستعاري، فبعد أن استعار النص القرآني الجناح للذل) عن طريق الاستعارة الكنائية، رغبة في رسم صورة الحنان والرفق الواجب توافره في معاملة الابن لوالده وكأن طائر يرفق بأبنائه، فيغطيهم، ذلك أن المقياس اختلف فالأب القوي ضعف وأصبح الأبن الأقوى، وكان هو الممرض فأصبح هو المريض، ولما كان الأمر بحاجة لوقفة كبرى، قام النص القرآني بتجريد المستعار منه (الطائر) من صفاته من خلال رفد الصفات الإنسانية (جناح الذل من الرحمة) فالرحمة هي صفة انسانية وليست حيوانية، وكأن الله سبحانه وتعالى يداعب فينا مشاعر الرفق والانسانية فيقول الحيوان يرفق بجنسه فارفقوا، بيد إنكم أرفع منه؛ فأنتم بشر، لديكم نفس وقلب، ورحمة، وشرف، ودين، وجنة، ونار والمفروض أن تكون رحمتكم أكبر وأشمل والله أعلم.

وقد يبن التجريد السببية القابعة خلف الاستعارة، فتكون العودة للمستعار له هي الكاشف عن ذلك، كما في قوله تعالى:

﴿**وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ**﴾[1].

إن الاستعارة القرآنية قامت في عبارة (طبع الله على قلوبهم) والطبع والإغلاق ليس من خاصية القلوب بل من خاصية (المستعار منه): (الشيء القادر على الإغلاق الحسي)، مبالغة بامتناعهم عن الحق والاستماع له، ثم لاتلبث الاستعارة أن تجرد

(١) محمد: ١٦.

المستعار منه من صفاته عن طريق تقوية المستعار له (القلوب) بعبارة (اتبعوا أهواءهم) فالأهواء صفة تابعة للقلوب (المستعار له) ويبدو أن زج صفات المستعار له (الهوى) كشف عن السبب الأساس في وضع الطبع وعدم الهداية على قلوبهم؛ لأن الهوى هو المحرك الأول والأساس للظلالة، فهو الذي يورد الانسان موارد الهلكة في الدنيا والآخرة – والله أعلم.

وقد يأتي التجريد ليبن السرعة المرتبطة بالشدة في الوقت ذاته، كما في قوله تعالى: **﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ* الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ* فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ* فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾**(١).

الآية المتقدمة جاءت في وصف شدة العذاب الذي وقع على فرعون، لشدة معاندته وتدخل الاستعارة المكنية (صبّ) المرتبة بالعذاب لتحول العذاب إلى شيء ملموس حسي مشاهد، ومعلوم أنّ العذاب هو من الأشياء المعنوية وأثاره حسية ومعنوية، ومادور الاستعارة في (صبّ) الا التجسيد في شدة العذاب وتبين سطوته عليهم فالعذاب صب كما يصب السائل على الجسم مع الشدة، ثم لاتلبث أن تدخل لفظة (سوط) ليس لتجريد (صبّ) من أثرها وشموليتها، بل لتعمل على إضافة معنى آخر للعذاب وهو السرعة، فالسوط فيه قوة وسرعة حين نزوله على الجسم، وكذلك له أثر ماثل على الجسم، وكأن أثر هذا العذاب بان على أجسامهم، ولهذا أراد النص القرأني ومن خلال التجريد أن يضيف دلالات جديدة هي السرعة وشدة الألم، وبقاء الأثر.

وقد يكون التجريد هو العائدية لمفصلية الطرح التي شكلت الدافعية الأولى، كما في قوله تعالى: **﴿ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا* إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا* قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾**(٢).

(١) الفجر: ١٣.

(٢) مريم:٢، ٣.

يتقدم حرف النداء (رب) للمسارعة واغباق النص بشعور التسارع في العمر وتأتي الاستعارة في (وهن العظم) لتبين «اظهار الضعف»[1] ولتعلن الخور و الكبير في الجسم فالوهن حينما يصل إلى العظم فلا صلاح للجسم والألم يكون أعظم، ثم تدخل الاستعارة المكنية التي تحول الرأس إلى (نار مشتعلة) ايحاء بغزو الشيب، ونرى أن سياق النص الطبيعي في الترشيح هو (اشتعل الرأس نارا) بيد أن لفظة (شيبا) في (اشتعل الرأس شيبا) قامت بتجريد المستعار منه (النار) من صفاته ثم أعادت للرأس صفاته، ولعل عودة الشيب جاء بعد ذكر الألم ليبن المفصل الذي أدى إلى كل هذا الالم، وهو غزو الشيب لراس النبي زكريا عليه السلام، كناية عن التقدم في العمر فالانسان لايحس بقيمة الابن حتى يتقدم به العمر ففي شبابه لايحس بالحاجة الماسة إلى ذلك.

ويأتي التجريد لبيان القيمة، ليعيد (المستعار له) إلى قيمته الحقيقية، طلبا للتبكيت، كما في قوله تعالى:

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ* بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾[2].

النص القرآني المتقدم يظهر حالة الصادين عن ذكر الله تعالى فأنكروا نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، طلبا لمتاع الدنيا، وحتى لايصبحوا تابعين له، فتدخل عبارة (بئسما اشتروا به أنفسهم) فتكون استعارة مكنية فجعل أنفسهم بمثابة السلعة التي تباع وتشترى، طلبا لتبين عمق الخسارة التي كشفها (بئسما) الذامة لفعلهم والمبينة لخسرانهم، ثم لايلبث النص القرآني أن يجرد المستعار منه (السلعة) من صفاته عن طريق رفد (المستعار له) النفس بصفاتها وهي: (الكفر) الخاص بالنفس ليعيدهم إلى

(١) أساليب بلاغية، د. أحمد مطلوب: ١٠٣.

(٢) البقرة: ٨٩، ٩٠.

درج الانسانية وكأن النص أشار إلى إن النفس أسمى من أن تجعل سلعة، فضلا عن كونها تباع بسعر بائس، والذي يظهر قيمة الخسران الشامل ويحدد أثره هو التراكم الدلالي (باءوا بغضب على غضب) وتسطع عبارة (عذاب مهين) لتحيل النص في إطار تخويفي لمن يسلب من نفسه ويجردها قيمتها الانسانية التي وضعت لعبادة الخالق وتحقيق أوامره.فـ«(بئسما اشتروا به أنفسهم) ما نكرة بمعنى شيء مميزة لفاعل بئس المستكن واشتروا صفته ومعناه باعوا أو اشتروا بحسب ظنهم فإنهم ظنوا أنهم خلصوا أنفسهم من العقاب بما فعلوا (أن يكفروا بما أنزل الله) هو المخصوص بالذم (بغيا) طلبا لما ليس لهم وحسدا وهو علة (أن يكفروا) دون (اشتروا) للفصل (أن ينزل الله) لأن ينزل، أي حسدوه على أن ينزل الله»[1].

وقد تكون الاستعارة بمثابة التقريع الشديد الواقع على مسمى معين، وبعد ذلك يأتي التجريد الاستعاري ليدخل في المفاصل، المهمة في الطرح:

﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾[2].

تتقدم عبارة (ماأنت بهادي العمي) لتكون بمثابة خبر خارج للتقريع وقد استوطن في دواخله الاستعارة التصرحية إذ استعار لفظة (العمي) وصرح بها للمستعار له (الضالون) فالضال كالأعمى فكلاهما لايبصرن الطريق المستقيم، ويأتي وجه التقريع والاستهزاء في لفظة (عمي) التي وصفت الكفار بصفة حسية تتجانس وأفعالهم، و عبارة (ماأنت بهادي العمي) فيها «أن زائدة للتوكيد وهي كافّة لما عن العمل إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآياتِنا قال أبو إسحاق: أي ما تسمع قال: والمعنى ما تسمع فيعي ويعمل إلا من يؤمن بآياتنا فأما من يسمع ولا يقبل فمنزلة الأصم»[3] ثم يأتي التجريد في لفظة

(١) تفسير البيضاوي: ج١: ٢٦١.

(٢) سورة الروم: ٨١.

(٣) اعراب القرآن، أبو جعفر النحاس، ج٣: ١٥١.

(ضلالتهم) «وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ» فالضلالة صفة عائدة للمستعار لهم الكفار وليس إلى المستعارمنه (الأعمى الحقيقي، فالموضوع بعد أن تقدمه التقريع الشديد يعود إلى مصبه الذي لم يؤمن الموضح من خلال جلب الاستثناء) الامن يؤمن بآياتنا.

ويأتي التجريد الاستعاري ليعطي ويجسد طابع التخويف والتهويل في مشاهد يوم القيامة، عن طريق دلالته المؤدية لذلك، في قوله تعالى:

﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾[1].

يأتي الفعل الماضي (تركنا) مع زمنه المستقبل (يوم القيامة) لكمال التحقق والتجسيد، وتدخل عبارة (بعضهم يموج في بعض) لتحول الكفار في سيرهم وكأنهم يلاطمون الموج في البحر لشدة الأهوال ولإظهار الاختناق من التزاحم وتقف الاستعارة (تركناهم يموجون) ليأتي بعدها التجريد العائد على الزحام (المستعارله) الذي شبه بالبحر (المستعار منه) ويبدو أن هذا التجريد الاستعاري قد أوقع النص في طابع التخويف؛ ذلك لأن الأمواج ليست في البحر وإنما الأمواج بين الناس، وذلك لبيان الكثرة وشدة التراصف والهول والخوف الذي أدخل بعضهم في بعض، الأمر الذي لايتحقق فيما لو جاء المستعارمنه بصفته المرشحة.

ويدخل التجريد في باب الاستعارة القرآنية وذلك، للتركيز على الشيء المهم الذي تم تجاهله من قبل المستعار له، كما في قوله تعالى:

﴿قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنْذَرُونَ﴾[2].

يتقد م الفعل (قل) كخطاب موجه الى النبي محمدﷺ «ليركز على الدعوة بالوحي الموجه للكفار بالله سبحانه وتعالى، وتأتي عبارة (ولايسمع الصم) لتقف على متقابلين

(١) سورة الكهف:٩٩.

(٢) سورة الانبياء: ٤٥.

(الكفار، الصم)»[1] وَ(لا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعاءَ) استعارة، فاستعار الصمّ للكفار، لأنهم كالبهائم لا يسمعون النداء إلى الإيمان سماع تدبر وتفهم. ويتم حذف لفظة (الكفار) ليصرح بالمستعار منه (الصم) وكأنما غاب الانسان السامع في نفوسهم وأصبحوا صما للمبالغة بعدم انقيادهم للنصح والدين، وتدخل لفظة (الدعاء، ينذرون) في (ولايسمع الصم الدعاء) لتجرد المستعار منه (الصم) من صفاته ولتعود لصفات الكافرين، وهو الأهم فهم أسوء من الصم فالصم لايلامون إن لم يسمعوا الكلام، أما هولاء فقد أعرضوا وهم يسمعون عن دعاء الله الحق، والانذار بعقاب الله سبحانه وتعالى.

الاطلاق الاستعاري وأثرة في قصدية الدلالة

الاستعارة المطلقة: «هي التي لم تقترن بما يلائم المستعار له أو المستعار منه أو اقترنت بما يلائمهما معا كقولنا: طلع البدر من جانب الخجر نريد المرأة الحسناء، فقد استعير البدر لها ولم يذكر في الجملة ملائما للمستعار له أو المستعار منه»[2] أو هي التي «خلت من ملائم المشبه به أو المشبه»[3].

ويأتي الاطلاق الاستعاري ليشكل صفة من صفات الذم، تلك الحتمية التي تطابق بين صفات المستعار له والمستعار منه وكأنهما جنس واحد لامجال للفصل أو الزيادة بين أحدهما، كما في تصويره تعالى للكفر وعدم الاهتداء (بعدم السمع) وعدم الابصار، يقول جلّ وعلا:

﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ* أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ

(١) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي: ج ١٧: ٦٠.
(٢) علم البيان، دراسة تحليلة لعلم البيان: ١٦٧ و ينظر: من بلاغة القرآن: ٢٢٣-٢٢٤.
(٣) البلاغة الواضحة: ٩١.

مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ* أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾[1].

قبل الولوج في الاستعارة القرآنية نرى أن السياق الذي جاءت فيه هو سياق الكفر، والظلالة، والمعاندة السافرة للدين، فعبارة (اللذين يصدون) فيها ايحاء للتوعد فلم يذكر اسمهم، ثم يزداد النص قوة من خلال (يبغونها عوجا) التي حملت الاضمار في ماهية الشيء المخالف للمسار الصحيح الذين يقومون به، وعن طريق ذلك الحذف يطفو التعويم الذي يضع كل المسارات الخاطئة الممكنة الاحتمال، فكأنهم سلكوا كل شيء خاطىء في الدين، وفي الخلق، وفي العرف الصحيح، وبعد ذلك تدخل الاستعارات (مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ) فيكون السمع والبصر مستعاران للفظ (الهداية) على اعتبار أنها الوسائل الموصلة لها إن وافقت العقل، ومع أنهم كان لهم سمع وبصر فقد تم الغائه، إذ أنّ «هذه الآية بيان وتفسير للظالمين الذين لعنهم الله وانهم يمنعون الناس عن التوحيد والايمان بالبعث ويغروهم بالشرك والكفر باليوم الآخر»[2] ثم دخلت الاستعارة من بعد التصريح إلى باب الاطلاق فلا عبارة تدل على المستعار منه (الهداية) ولا لفظة تدل على المستعار له (السمع والبصر) ويبدو أن هذا التعويم والترك كان وراءه قصدية مفادها أن لارجاء منهم فالهداية مرتبطة بالسمع والبصر، وكأنهم قد حرموا منه إلى الأبد من سوء فعلهم ولذا فلاهداية ترتجى منهم، كيف وقد غابت موصلاتها السمع والبصر.

وقد تكرر هذا المفهوم بقالبه في آية أخرى مع مجيء لفظة القلب، كما في قوله تعالى: **﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ* أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾**[3].

---

(١) هود: ٢٠، ٢١.

(٢) التفسير الكاشف، محمد جواد مغنية: ج٤: ٢٢١.

(٣) النحل: ١٠٧.

الآية جاءت فيمن أثر الحياة الدنيا على الآخرة، وربما صحب ذلك العلم بالنهاية، لكن هواهم غلب عقولهم، بدلالة (استحبوا الحياة الدنيا) وهل الحب الا الهوى الموصل للكفر، ولهذا تأتي الاستعارات في ﴿**طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ**﴾ فالطبع والإغلاق على القلب استعارة مكنية، وكذا على السمع، وكذا الطبع على الأبصار، والقلب، والبصر، والسمع (مستعار له) أستعير صفات الشيء الذي يمكن قفله وسده، وكذلك وقعت الاستعارة بعد ذلك في طور الاطلاق فلا عبارة ترشح الشيء القابل للإغلاق ولا أخرى تقوي المستعار له (القلب والسمع والبصر) وكأن التماهي حاصل بين الأشياء المذكورة وبين المستعار له فالبصر مغلق والسمع والقلب كالظرف المغلق، ولاشيء يرتجى منه. وما ذلك إلا لما تقدم من عمله السيء. بمعنى آخر فقد تم تعطيل كل الحواس المفضية للهداية.

وتكرر هذا الاطلاق في آيات كثيرة خاصة في تبيان صفة الظلالة، فكان المانع من الهدي الشيء المستعار المغطي لوسائل الإدراك، كقوله تعالى:

﴿**الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا* أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا**﴾[1].

فالغطاء الاستعاري ماهو الا حلول للظلالة التي أحاطت بالكافرين ومنعتهم من الإبصار وما الإبصار الا الهداية وما (السمع) الاستعارة للإيمان، ويبدو أن وراء ترك الاستعارات المتقدمة من غير ترشيح ولاتجريد هو الرغبة بجعل السببية خاصة بهم – والله أعلم– البصر خاص بهم، والسمع كذلك وهم أحرار في حواسهم يسمعون إن أرادوا بيد إنهم قاموا بتعطيلها، والتي بينها العطاء وعدم السمع المجازيان.

(١) الكهف: ١٠١، ١٠٢.

وقد يأتي الاطلاق الاستعاري لتوحيد المستعار منه والمستعارله في الصورة المجازية من أجل توحيد الأطر اللامة بين الاثنين عن طريق جامع النفعية والتشابه في الطرق التي يؤديها المتقابلين المستعار منه والمستعار له ومنه قوله تعالى:

«كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور»[1].

تتقدم لفظة الكتاب الذي هو القرآن الكريم مركز الهدي وتقف المقابلات الاستعارية التصريحة وهي الظلمات والنور لتشكل (المستعار منه) المصرح الذي هو الهدى مقابل النور و(الضلال) مقابل (الكفر) ويبدو أن النص القرآني قد عمد على أخذ المقابلات الحسية التي لها خاصية الإتساع والعظم مع التناقض في الأثر من أجل إظهار الفارق بين الايمان والكفر والهدي والضلال وبعد ذلك نرى النص القرآني ترك المستعار منه والمستعار له من غير رفد لأحدهما ويظهر أن ذلك الترك كان مقصودا لتبيان كمال التشابه بين المتقابلات الظلمات والضلالة والنور والهدى.

والملاحظ أن الاطلاق الاستعاري يأتي ليجعل النص المطروح متأرجحا بين الترشيح والتجريد لغاية دلالية، في الوقت ذاته. كقوله تعالى:

﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ﴾[2].

الاستعارة المتقدمة في النص القرآني تكشف عن المرض النفسي المتغلغل في نفوس الصادين عن ذكر الله تعالى، وتدخل عبارة (قلوبنا غلف) لتضع المستعار له الكفر في إطار حسي فالقلوب لايمكن أن تغلف وكأنها شيء قابل لذلك؛ كي لايصل إليه الهدي، ومعنى «قالوا قلوبنا غلف – أنهم أرادوا أنها في أغطية جبلية وفطرية»[3].

(١) ابراهيم: ١.

(٢) البقرة: ٨٨.

(٣) الحاشية على الكشاف، الشريف الجرجاني: ١٦٢.

فالإطلاق ترك الاستعارة من غير تجريد ولاترشيح ليزيد النص غرابة من خلال اسدال الستار عن أي لفظة مرشحة لقطب معين، و وجود التوازن وغياب معادلته المطروحة، من خلال ذكر أشياء خاصة (بالمستعار له) أو (المستعار منه) مع الحفاظ على نقطة التوازن. وكأن التوازن الغائب الذي يبين امكانية وجود الغلاف على القلب من عدمه أمر مخفي، لما أخفته أنفسهم من ظلال ومن تأرجح نفسي، فهم كما يبين القرآن الكريم ليسوا بالكفار بكل ماتعنيه كلمة الكافر من عناد، ولا هم مؤمنين بدلالة (قليلا مايؤمنون) فإيمانهم القليل كان الغالب عليه الكفر الذي يحركه الهوى، ولهذا تأتي عبارة (بل لعنهم الله) لتكون العقاب الشافي للعارف بالله والناكر له في في الوقت ذاته. إذ «ليس المراد كونهم ممنوعين من الإيمان، بل المراد إما منع الألطاف أو تشبيه حالهم في إصرارهم على الكفر بمنزلة المجبور على الكفر. قالوا: ونظير ذم الله تعالى اليهود على هذه المقالة ذمه تعالى الكافرين على مثل هذه المقالة وهو قوله تعالى: ﴿**وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ**﴾﴿فصلت: ٥﴾»[1].

وقد يقيم الاطلاق حالة من الموازنة بين المتقابلات التي يكون لها القدرة على التجسيد التام، فيكون الإطلاق هو الصورة الايحائية المماثلة، فتختفي الصورة الأولى وتبقى الثانية، ليكون أثرها أكثر تمسكا بالنفس، ومنه قوله تعالى في وصف الايمان والكفر بالنور والظلمات:

﴿**اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾[2].

الظلمات في النص القرآني (مستعار منه)، (والمستعارله) الضلالة والنور مستعار منه والمستعار له الايمان ويبدو أن الإخراج المتعاكس بين الظلمات والنور للكافر

(١) تفسير الرازي: فخر الدين الرازي، ج٣: ١٧٨.
(٢) البقرة: ٢٥٧.

والمؤمن قد جاء مطلقا بدون ذكر لأي تقوية لا للمستعار منه ولا المستعار له، وكأن النور الكاشف أصبح هو الايمان والعكس، وكأن الكفر أصبح ظلمات، والجامع هو الصورة اللامة للنفعية، وغياب النفعية، وكذلك كشفت عن الفرق الشاسع بين الطرفين.

ويأتي الاطلاق الاستعاري ليشكل صفة من صفات الذم، تلك الحتمية التي تطابق بين صفات المستعار له والمستعار منه وكأنهما جنس واحد لامجال للفصل أو الزيادة بين أحدهما، كما في تصويره تعالى للكفر وعدم الاهتداء (بعدم السمع) وعدم الابصار، في قوله جلّ وعلا:

﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآَخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ* أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ* أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾[1].

قبل الولوج في الاستعارة القرآنية نرى أن السياق الذي جاءت فيه هو سياق الكفر والضلالة والمعاندة السافرة للدين، فعبارة (اللذين يصدون) فيها بعد للتوعد فلم يذكر اسمهم ثم يزاد النص قوة من خلال (يبغونها عوجا) التي حملت الاضمار في ماهية الشيء المخالف للمسار الصحيح الذين يقومون به، وعن طريق ذلك الحذف يطفو التعويم الذي يضع كل المسارات الخاطئة الممكنة الاحتمال، فكأنهم سلكوا كل شيء خاطىء في الدين وفي الخلق وفي العرف الصحيح، وبعد ذلك تدخل الاستعارات (مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ) فيكون السمع والبصر مستعاران للفظ (الهداية) على اعتبار أنها الوسائل الموصلة لها إن وافقت العقل، ومع أنهم كان لهم سمع وبصر فقد تم الغائه، ثم دخلت الاستعارة من بعد التصريح إلى باب الاطلاق فلا

(١) هود: ٢٠، ٢١.

عبارة تدل على المستعار منه (الهداية) ولا لفظة تدل على المستعار له (السمع والبصر) ويبدو أن هذا التعويم والترك كان وراءه قصدية مفادها أن لارجاء منهم فالهداية مرتبطة بالسمع والبصر، وكأنهم قد حرموا منه إلى الأبد من سوء فعلهم ولذا فلاهداية ترتجى منهم، كيف وقد غابت موصلاتها السمع والبصر.

وقد تكرر هذا المفهوم بقالبه في آية أخرى مع مجي لفظة القلب، كما في قوله تعالى:

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآَخِرَةِ وَأَنَّ اللهَّ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ* أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللهُّ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[1].

الآية جاءت فيمن أثر الحياة الدنيا على الآخرة، وربما صحب ذلك العلم بالنهاية، لكن هواهم غلب عقولهم، بدلالة (استحبوا الحياة الدنيا) وهل الحب الا الهوى المصل للكفر، ولهذا تأتي الاستعارات في (طَبَعَ اللهُّ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ) فالطبع والإغلاق على القلب استعارة مكنية، وكذا على السمع، وكذا الطبع على الأبصار، والقلب والبصر والسمع مستعار له أستعير صفات الشيء الذي يمكن اقفاله وسده، وكذلك وقعت الاستعارة بعد ذلك في طور الاطلاق فلا عبارة ترشح الشيء القابل للإغلاق ولا أخرى تقوي المستعار له (القلب والسمع والبصر) وكأن التماهي حاصل بين الاشياء المذكورة وبين المستعار له فالبصر مغلق والسمع والقلب كالظرف المغلق، ولاشيء يرتجى منه. وما ذلك إلا لما تقدم من عمله السيء. بمعنى آحر فقد تم تعطيل كل الحواس الفضية للهداية.

(١) النحل: ١٠٧.

وتكرر هذا الاطلاق في آيات كثيرة خاصة في تبيان صفة الظلالة، فكان المانع من الهدي الشيء المستعار المغطي لوسائل الإدراك، كقوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا* أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا**﴾[1].

فالغطاء الاستعاري ماهو الا حلول للظلالة التي أحاطت بالكافرين ومنعتهم من الابصار وما الابصار الا الهداية وما السمع الااستعارة للايمان، ويبدو أن وراء ترك الاستعارات المتقدمة من غير ترشيح ولاتجريد هو الرغبة بجعل السببية خاصة بهم والله أعلم بالبصر خاص بهم، والسمع كذلك وهم أحرار في حواسهم يسمعون إن أرادوا بيد إنهم قاموا بتعطيلها، والتي بينها (العطاء وعدم السمع المجازيان. ويدخل الاستفهام الانكاري المتضمن للاستعارة (أفأنت تهدي العمي) لتشكل الحلول المجازي، فلفظة (العمي) حلت مكان (الظالين عن دين الله سبحانه وتعالى) وهذه الاستعارة التصرحية بينت الاستحالة بالهدي من خلال خاصية الترشيح والتوغل في صفات المستعار منه (لو كانوا لايبصرون) فهنا يتحول الأمر الى الاستحالة في هدي الكفار.

وتدخل لفظة العذاب الأخروي، فنرى أنها في أغلب الآيات جاءت بالاطلاق الاستعاري، فلم تأت من جانب الترشيح ولم تضع زيادة للمستعار منه أو المستعار له، وذلك لتجسيد العذاب وأكثره جاء في باب الذوق، الذي ثبت معناه، لبيانه وسبر مداه، كما في قوله تعالى:

﴿**كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ**﴾[2].

(١) الكهف: ١٠١، ١٠٢.

(٢) الحج:٢٤.

فدلالة الشدة تظهر من خلال (كلما أرادوا أن يخرجوا... أعيدوا) تلك الصورة الموحية بالقوة التي تظهر الرغبة بالخروج من النار مع انعدام تلك الرغبة، وتدخل الاستعارة (ذوقوا عذاب الحريق) التي تجعل من الشيء المعنوي (العذاب) شيئا حسيا ملموسا ومذاقا، ولايتم ترشيح جانب المستعار منه أو المستعار له، وكأن الذوق ارتبط بالعذاب والعذاب ارتبط في الذوق؛ ولعل مرد ذلك أن الذوق هو الذي يرتبط بالاشياء الحسنة الطيبة التي أضاعت على الكفار الاشياء الحسنة، او ربما؛ لأن الذوق الوسيلة التي تبين حدة الاشياء ودرجاتها في الشدة فمثلا درجة الحامض فيها الوان وكذلك الحلو والمر.

ومثل ذلك ورد كثيرا في النص القرآني ليتخذ المسار نفسه، ومن ذلك قوله تعالى:

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾(١).

وكذلك قوله تعالى: **﴿أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ﴾**(٢).

مما تقدم يتضح أن الترشيح الاستعاري القرآني أو التجريد أو الاطلاق ليس القوة فية عند المبالغة والتماهي في صفات المستعار منه، أو المستعار له بل القوة تكمن في دقة الاختيار القابع خلفها القصد الموصل للدلالة المراد طرحها في النص القرآني، وقد يكون هناك توازن استعاري يكون وراءه استجلاب الدلالة المقصودة.

(١) السجدة: ٢٠.

(٢) البقرة: ٢٥.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- أساليب بلاغية (الفصاحة، البلاغة، المعاني)، د. أحمد مطلوب، منشورات وكالة المطبوعات، الكويت، ط١. د. ت.
- إعراب القرآن أبي جعفر النحاس، (ت ٣٣٨ هـ) دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – لبنان – بيروت، ط١، ١٤٢١ هـ.
- الايضاح في علوم البلاغة، جلال الدين القزويني، (ت٧٣٩ هـ) وضع حواشيه ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنلن، ط١، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م.
- البداية والنهاية، ابن كثير، (ت ٧٧٤ هـ) تحقيق: علي شيري منشورات دار احياء التراث العربي، بيروت لبنان، ط١، ١٩٨٨م.
- البرهان للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق، محمد ابو الفضل ابراهيم، منشورات دار الاحياء التراث العربي، معيسى البابي وشركاه، ١٣٧٦ – ١٩٥٧ م.
- البلاغة الواضحة، البيان ولمعاني والبديع، مصطفى أمين، وز مصطفى الجارم منشورات مؤسسة الصادق، للطباعة والنشر، ط٥، ١٤٢٩ هـ.
- تفسير البيضاوي، المؤلف: البيضاوي، (ت ٦٨٢ هـ) منشورات – دار الفكر، بيروت، د.ت.
- تفسير الرازي، المؤلف: فخر الدين الرازي، الوفاة: ٦٠٦الطبعة: الثالثة، الناشر: ردمك: د. ت.
- التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب (ت ١٣٩٠ هـ) منشورات دار الفكر العربي، بيروت، لبنان. ط١، ١٤٢٤هـ.

- التفسير الكاشف، محمد جواد مغنية، منشورات دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط٣، ١٩٨١م
- التفسير الوسيط، المؤلف: وهبة الزحيلي، دار الفكر، الناشر: دار الفكر المعاصر، بيروت – لبنان، و دار الفكر، دمشق – سورية، ط٢: ١٤٢٧ – ٢٠٠٦ م
- تفسير الماتردي، أبو منصور الماتريدي (ت ٣٣٣هـ) تحقيق: باسلوم، مجدى دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – لبنان – بيرون، لبنان، بيروت، ط١، ١٤٢٦ هـ.
- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج وهبة الزحيلي (ت ١٤٣٦ هـ) منشورات، دار الفكر سوريه، دمشق، ط٢، ١٤١١ هـ.
- تلخيص البيان في مجازات القرآن: الشريف الرضي، (ت ٤٠٦هـ تحقيق: حققه وقدم له وصنع فهارسه: محمد عبد الغني حسن، الطبعة: الأولى، الناشر: دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه – القاهره ، ١٣٧٤ – ١٩٥٥ م.
- الحاشية على الكشاف، الشريف الجرجاني، (ت ٥٣١ هـ) الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، عباس ومحمد محمود الحلبي وشركاهم – خلفاء، ردمك سنة الطبع: ١٣٨٥ – ١٩٦٦ م.
- دلائل الاعجاز، عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (ت ٤٧٤ هـ) قرأه وعلق عليه محمد شاكر محمود، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ت.
- الصحابي في فقه اللغة ومسائلها وسنن العرب فيها، أبي الحسين أحمد بن فارس، علق عليه، أحمد حسن بسج منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. د.ت.
- علم البيان، دراسة تحليلة لعلم البيان، د. بسيوني عبد الفتاح فيود، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة. ومؤسسة المعالم الثقافية، الإحساء، ط٢، ١٤٣٥ هـ –ت ٣٠٠٤م.

❖ لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري، دار صادر، بيروت، لبنان، د. ت.
❖ مفتاح العلوم، يوسف بن محمد بن علي السكاكي (ت ٦٢٦ هـ) ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه نعيم زرزور، منشورات دار الكتيب العلمية بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٧ هـ، ١٩٨٧ م.